جامعة مدينة السادات
معهد الدراسات والبحوث البيئية
المؤتمر الدولي الرابع للدراسات والبحوث البيئية
" بيئـــة مستدامـــة ذكيـــة "

Journal of Environmental Studies and Researches (2017), 7(2-A)136-164

تطور مقومات الفن المصغر في التصوير والرسم

أحمد إبراهيم أحمد
كلية الفنون التطبيقية -جامعة بنها

الملخلص

تعد دقائق الفنون المصغرة في التصوير والرسم ذات اعتبارية بحثية هامة بما تكشفه من الجوانب الجمالية والمضامين النقدية التي تعكس إبداع الفنان أو الانعكاس الحضاري بمحاور فلسفية وعقادية وعلمية ويتضمن البحث الكشف عن هذه القيمة في مراحل تطورها الزمني ونوعية إشكالها وأحجامها وقضاياها الفنية في مجال فن التصوير والرسم..

ويتناول البحث نوعيتها مثل الإيقونات والمنمنمات والمخطوطات الخطية الصغيرة والأحجبة والوحدات الزخرفية المبسطة التي تعكس التصميمات كالرموز واللوجو والشعارات.

كما يتعرض البحث على كشف النقاب عن الوسائل التقنية وأساليب التلوين التي بلغت تطوراً علمياً في فترة الحداثة بتأثير تفتيت الكتلة وتحطيمها بما يعكس مفاهيم الطاقة وثراء الأسطح.

كذلك يكشف البحث العلاقة بين المعالجة الفنية المصغرة بين الشكل وتطبيقاته على المنتجات التطبيقية الصغيرة سواء أكانت تصميمات صغيرة أو تصغير الفنون والأشكال كالحلي والأختام وأزرار الملابس حتى تصل إلى كشف الوحدات والخلايا النسجية الدقيقة الملونة في فن النسيج وطباعته.

الفصل الأول

أولا: الرؤية التشكيلية للفنون المصغرة:

- تمثل الفنون التشكيلية المصغرة حالة إبداعية ذات خصوصية جمالية في الرؤية النقدية حيث أن قضايا عديدة تتعلق بالفن والوظيفة والعملية الإبداعية وفن التخاطب والتسجيل التاريخي أو مضامينها الدينية والتزيينيه ولعل هذه الأهمية وجهت الاهتمام بفعالياتها في الحركة التشكيلية المعاصرة في صور عديدة ارتبطت بالفنون التطبيقية والجميلة وأيضا في الفن والتربية وأفردت لها المسابقات الخاصة بقواعد أكاديمية وإطار مميز لتجربة تفعيلها.
- وتظل جذور هذه الأهمية تبدو مبكرة منذ أبدع الإنسان في عصوره البدائية والقديمة بالنقش المبسط على أسطح العظام أوراق الشجر والجلد بتلك الرسوم الدقيقة المرتبطة بالبيئة والسلوك والطقوس التي يعتنقها فظهرت في صورة حروف وأرقام ورموز دقيقة تشكل لغة تشكيلية لها طابع خاص في التعبير الفني وتتطلب رؤية نقدية في تذوقها الفسيولوجي والسيكولوجي(*)

شكل (١) للمصور عبدالفتاح البدري وهو عمل يعكس قدرة فائقه في التشكيل وفي مساحة تعادل $\frac{1}{4}$ سم يمكن رؤيتها بوضع عدسه أمامها وتعتبر من اصغر فنون التصوير المصغر على المستوى العالمي.

ثانيا: قوالب وتصانيف الفن المصغر:

- تعد مسألة الصياغة والحجم والمساحة هي البادرة الأولى في تحديد شخصية العمل الفني لتلك الفنون الصغيرة حتى يمكننا استخدام مفهوم "دقائق التصوير المصغر" ويجب هنا الفصل بين دقائق التقنية الأدائية واستخدام الوسيط المنفذ به العمل وبين مفهوم الأعمال الفنية الصغيرة بقياسها بالرسوم والتصاوير الجدارية الكبيرة.

(*) عمل فني مصغر للمصور عبدالفتاح البدري يعتمد على عدسة أمامه لرؤيته يمثل اصغر لوحة في العالم يمثل حجمه ٤ سم.

- وهذا المعنى يشمل قوالب الفن المصغر طبقاً للنتاج الفني المتراكب والمتعاقب للحضارات الفنية أو بمعيار آخر تصانيف المدارس الفنية كأسلوب تعبير وكذلك الفنون التطبيقية التي تجمع بين فن الرسم والتصوير الدقيق على أسطح الصناعات التطبيقية الصغيرة والتي بدورها حققت أهمية توظيف فن التصوير والرسم على هذه الأحجام والمساحات الصغيرة والتي قد تصل إلى بضع سنتيمترات وتمثلت في الأحجبة والأختام والأدوات المنزلية وأدوات التزيين وفنون الوشم.

ثم تدرجت مع ظهور العملات المعدنية حتى تطبع استخدامها الجرافيكي في العملات الورقية، ولكن القوالب الرئيسية تكونت في صورة الأعمال الفنية الصغيرة التي تبوأت صدارة النقد الفني وأصبح لها طابعها المميز كالإيقونات Icons المسيحية والمخطوطات الإسلامية والمنمنمات Miniture الدقيقة وزخر بها فن التصوير وأصبحت لها طابعها الجمالي والنقدي الهام الذي يكشف مهارة الأداء وصياغة الشكل وعمق العملية الإبداعية ذاتها عند الفنان.

ولاشك أن التعرض للتحليل الفني لتلك الأعمال يضع قياسات إبداعية لعناصر التكوين والاختزال والدقة والحرص الشديد على تألق مفردات التشكيل من الخط واللون والضوء في شكلها الدقيق لتظل محتفظة في الإدراك بقيمتها البصرية والتشكيلية.

والشيء المثير أن هذا الفن المصغر اوجد وحدة الفنون ما بين الرسم والزخرفة والتصوير في تصميم يخدم حجم سطح المنتج الصناعي أو يحقق تيسير تبادل المنفعة المعيشية.

ويمكن وضع الاعتبارات النقدية في تصانيف الفن المصغر في الرسم والتصوير على النحو التالي:

أولا: بالنظر إلى حجم العمل الفني ومساحته التي تبدأ من ١سم إلى ٢٥سم الذي يتمثل في تصميم اللوجو Logo.
ثانيا : أن وحدات التكوين في الفن المصغر تمثل حرفاً أو رقماً أو رمزاً أو وحدة إنشائية في التصميم المعماري شكل (٢) على سبيل المثال.
ثالثا : دقة البناء التقني للوسيط كما هو في الأسلوب التنقيطي في تصوير التأثيرية الجديدة عند التنقيطيين Pointillism وكذلك في أداء فن الرسم شكل (٣).

ثالثاً: مقومات الإبداع الجمالي في التصوير المصغر:

١ـ مقومات فلسفية وعقائدية:

هناك كثيراً من أشكال الفنون المصغرة خضعت لاسس دينية وطقوس استلهم منها الإنسان القديم سلوك حياته ومباشرته للعبادة أو الاعتقادات التي قد ترتبط بالعبادة أو التحصين والسحر.

ولعل ظهور الإيقونات المسيحية كاحد قوالب فنون التصوير في اعقاب ميلاد الديانة المسيحية مثالا لذلك حيث شكلت احد صور العبادة والتخاطب الديني التي استلزم التمسك بها كرمز روحي في اضطهاد الحكم الروماني واضطهاده للرهبات.

لذلك تتطلب حملها سراً وتشكلت في أحجام صغيرة يسهل نقلها وتحمل صور الشخصيات المقدسة ورموزها الدينية ثم أخذت تطوراً فنياً فيما بعد شكل اتجاها مدرسياً في التصوير سواءً في الأسلوب أو الأداء أو التقنية حيث أصبحت احد أدوات ممارسة الطقوس الدينية.

ولاشك أن ازدهار فنون الرسم وتصوير المخطوطات والمنمنمات الإسلامية في الشرق الأقصى واسيا الصغرى. كان له تأثيراً واضحاً بفنون تلك البيئة بجذور حضارات بلاد الصين والهند والتي مع ظهور الإسلام وبداية التسجيل الخطي قد هذبت الدعوة الإسلامية هذه المصادر بنقائها الروحي واستلهامها مضامين دينية تسمو بهذه المؤثرات بشكل تقدمي بجمع بين المقومات الدينية والصباغات الجمالية التي شكلت طابعها المدرس بنزعته الصوفية الدينية والتي ارتفعت بحالة الإبداع من محاكاة التصوير إلى مفهوم القصور.

٢ـ مقومات علمية:

حيث شكل الإبداع التشكيلي انعكاسا قويا لواقع التطور العلمي وكشفة لحقيقة الواقع المرئي فتغيرته الرؤية وبالتالي تبدلت الصياغة التشكيلية باحثة عن مرادف تشكيلي جديد يقوم على التجريب واكتشاف آفات جديدة لمفردات التشكيل وقيمها الجمالية.

لذا تم طرح السؤال الهام لرسالة الفن والفنان وهو كيف يتم التبسيط والاختزال في حجم العمل الفني مع الاحتفاظ في نفس الوقت بقوة تعبيره وتشكيله؟ وكيف فرضت القواعد الجرافيكية دورها التقني في تصميم مصغر كالعملات المعدنية والورقية. وهو ما أظهرته تجارب فنون التأثيرية الجديدة وفن op. art إذا كان للمقومات العلمية كنظرية فرضية تشكيل الفن المصغر وإخضاعه لأداء مهاري دقيق ووسائط تقنية عالية.

٣- مقومات وظيفية:

وهذه المقومات شكلت تلبية احتياجات الإنسان في عصوره القديمة في التسجيل اللغوي والرمزي على أسطح أدواته القديمة ربما لإذابة السطح ومحاكاة الواقع الذي ينشده أو لاحتفاظه بقيمة انتمائه البيئي والاجتماعي الذي يتعايش معه وسيتضح ذلك جلياً في العلاقة بين الفن الجميل والمنتج التطبيقي من صناعات وحرف بوجهه الحداثة والمعاصرة حيث حرص الرأي النقدي على أهمية قضية الفن والوظيفة الذي يتناقض مبدأ الفن للفن.

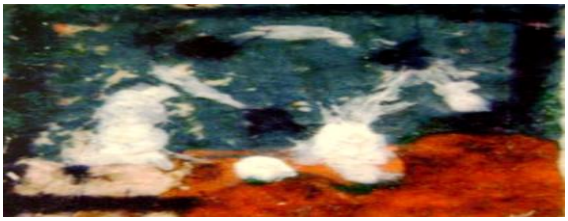

شكل (١)

نموذج للفن المصغر الدقيق لوحة للفنان المصري عبدالفتاح البدري مساحة ربع سم تمثل اصغر لوحة في العالم

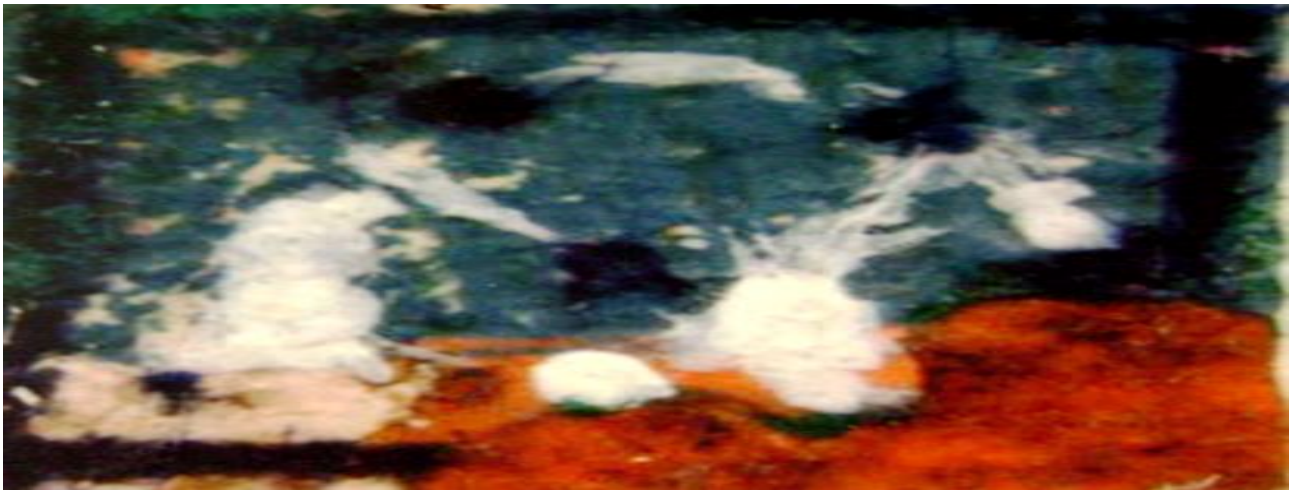

نموذج تفصيلي مكبر

Carbon Pencil

Charcoal

Wax crayon

Conté

Oil pastel

Soft chalk pastel

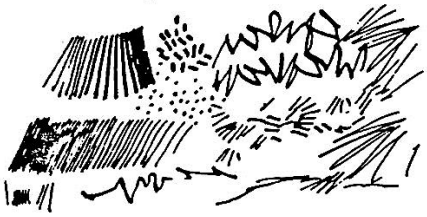

Pen and ink

Bamboo

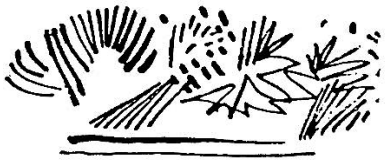

Quill

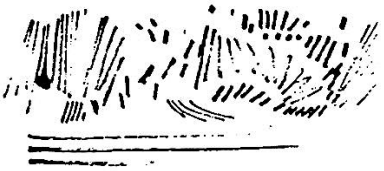

Sharpened wood

Ball point pen

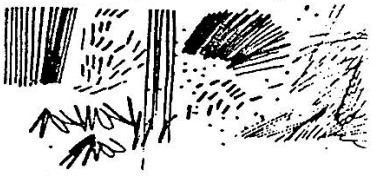

Fibre tip pen

Brush and writing ink

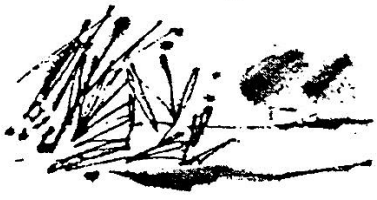

Pen and brush on wet pape

شكل (٢)

نموذج مصغر لدقة تقنية فن الرسم

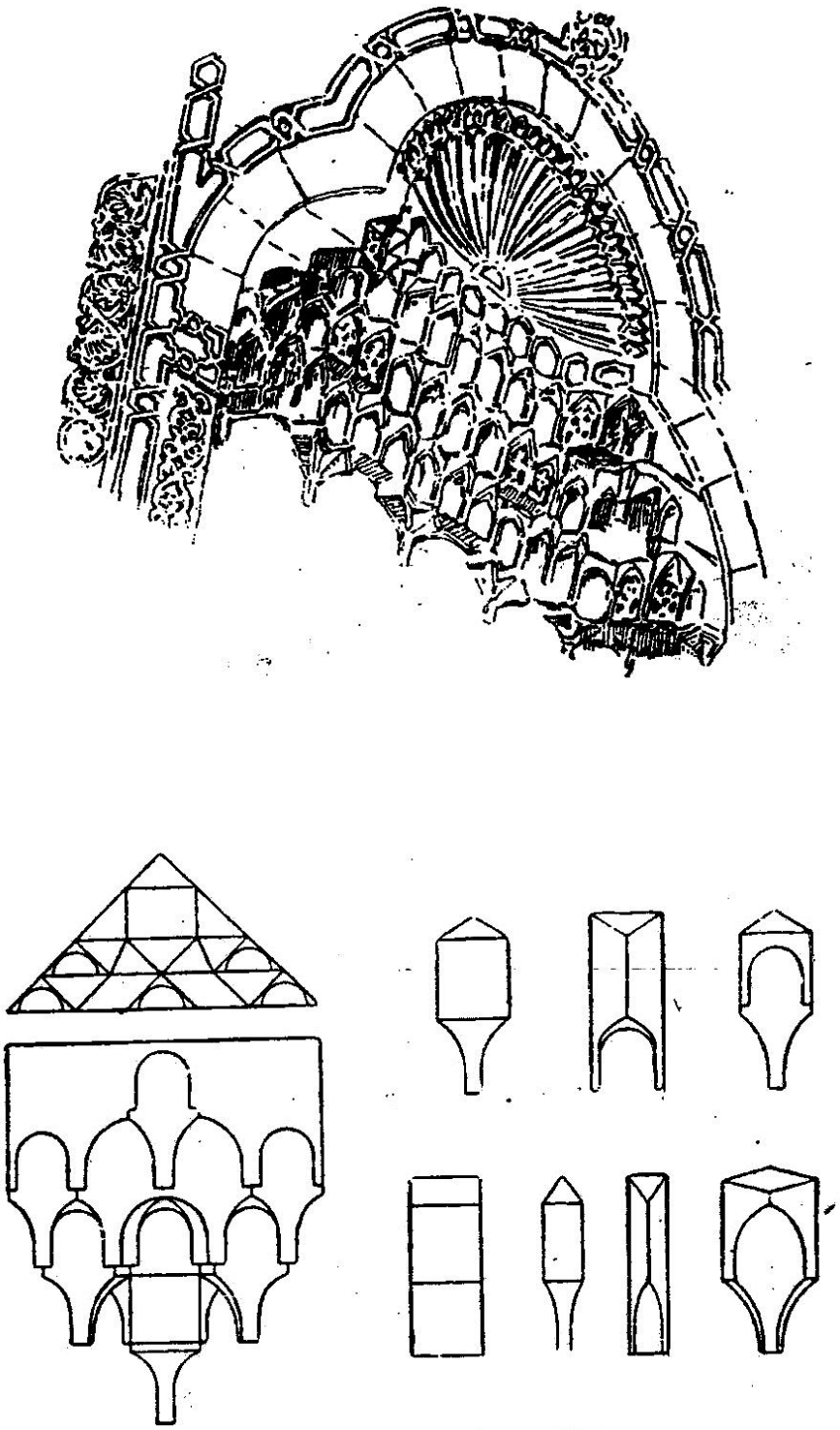

شكل (أ) (٣)

وحدات تصميمية مصغرة في الإنشاء المعماري (المقرنصات)

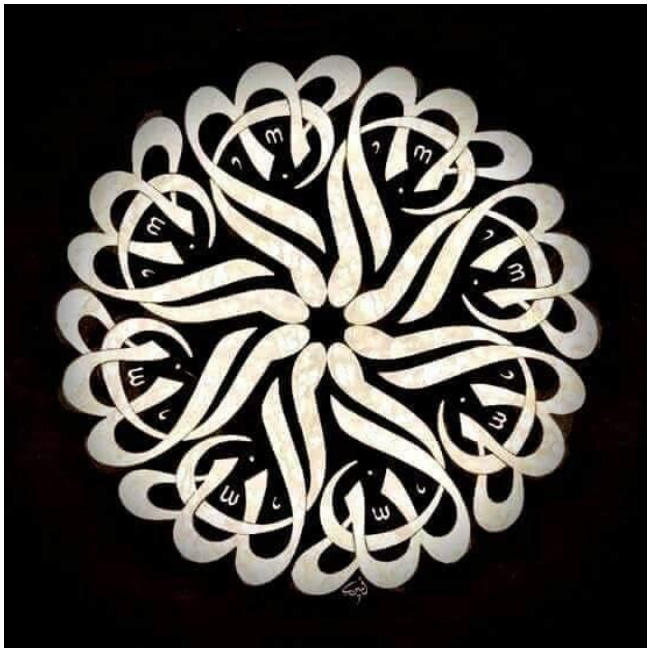

شكل (ب) (٣)

وحدات تصميمية مصغرة في الإنشاء المعماري (المقرنصات)

نموذج مصغر للتصميم

شكل (٤)

تصميم شعار جامعة بنها للباحث

نموذج مصغر مساحة ١سم٢

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تحليل جمالي للفنون التشكيلية المصغرة

(١) الإيقونات المصورة:

تعد الإيقونات المصورة القبطية من أهم الأعمال الفنية التي تميز الفنون المسيحية في الشرق من حيث غزارة الإنتاج(*) وأسلوب الصياغة الذي تطور بشكل ملحوظ في الموضوع والأداء والأسلوب التقني في الوسائط والخامات(**).

لهذا الاعتبار اعتبرت الإيقونات القبطية محل اهتمام الدراسة وأيضاً قدمت نموذجاً متحفياً على الصعيد التشكيلي والسياحي والخطاب الديني، فمن أبعاد تجربتها الفنية نجد أنها شكلت خصائص فنية تأثرت خلالها بنتاج حضاري وموروث شعبي من الحضارة الفرعونية والتراث المتراكم للبيئة المصرية.

اعتمد الموضوع الفني على إبراز الشخصيات المقدسة كعنصر أساس في تكوين العمل الفني من خلال السرد القصصي وأحداث الوقائع الدينية مما ترتب عليه اعتماد على لاصطفاف الشخوص وفق مكانتهم المقدسة، كذلك فإن التحوير للأشكال كان السمة التعبيرية الروحية للموضوع مع الالتزام بوحدات منفصلة على شكل الرموز والحروف والهالات المقدسة، وكما انعكس ذلك على رمزية الألوان المحددة بالأزرق والأخضر والرماديات بتخللها اللون الذهبي مبعث النور ولعل البساطة والاختزال هي المعنى المضاد للقيمة المادية في العمل الفني.

وتتأكد الإبعاد الرمزية في العمل الفني على النحو التالي:

١- التفاحة: تعبر عن شجرة المعرفة في جنة عدن.
٢- البيضة: تعبر عن السلام والطهارة والوجود المقدس.
٣- السمكة: ترمز للسيد المسيح.
٤- الدائرة: الهالة المقدسة.
٥- المثلث: الثالوث المقدس.
٦- القمر: يمثل العذراء.
٧- الزيتون: يمثل السلام.
٨- النجمة: الإرث الإلهي.
٩- الشمس: تمثل مريم العذراء.
١٠- السيف: رمز الاستشهاد.

وتؤكد احد المراجع هذه الرؤية الرمزية مشيرة إلى أن تراكم الرموز الدينية منذ ظهور التصوير الايقوني المسيحي الذي زخر به عصر النهضة يتبع علم قراءة الصور Iconography(١).

وقد شهد القرن الثامن عشر غزارة غير مسبوقة في إنتاج الإيقونات نتيجة فترة إحياء ثقافي امتد خلال القرنين السابع والثامن عشر ارتبطت بظهور طائفة الأعيان الأقباط وظهور المتخصصين في إنتاجها على رأسهم حنا الأرمني(*) و(إبراهيم الناسخ) و(سوريال بن القس أبوالمنا) "مصور الإيقونات المصري" وتميزت أساليبهم الفنية وطرحت مناقشات جدلية حول التوقيع من عدمه على الإيقونات والفصل بين مفهوم المخطوط المصور والإيقونة(٢).

ومع هذا الانتشار الفني للإيقونات أصبحت مطلباً خاصاً للأقباط لتزيين منازلهم وحضورها الصلوات بعدما استقلت ملكيتها للرهبات والقساوسة.

(*) تحتفظ كنية أبوسيفين بمصر القديمة على (١٠٠) إيقونة من القرن ١٨ والكنيسة المعلقة بنفس المنطقة.
(**) فن التصوير عند الأقباط والمسيحيين الشرقيين عامة هو فن الكنيسة الذي بدأ في القرن الرابع عندما أصبحت دين الدولة الرسمي في عهد الإمبراطور (ثيودسيس Theodisus) إذ لم يكن للمسيحية فن قائم بذاته قبل ذلك التاريخ.
(١) عفيف البهنس: النقد الفني وقراءة الصورة – دار الكتاب العربي – دمشق – ط١٩ – ص٥٠.
(*) تشير احد المصادر انه من أسرة أرمينية عاشت في القدس وتعلم هناك الرسم ثم عاد إلى القاهرة فمارس هذه المهنة وتخصص فيها.
(٢) مجدي جرجس: يوحنا الارمني وإيقوناته القبطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩، ص٦٢-٦٣.

رسم الأيقونات

يقال إن لوقا هو أول من رسم إيقونة فنية يرجع إليها بداية القبطي في الظهور، جسد فيها المسيح للطفل في حضن أمه العذراء، وفي فترة سوداء من تاريخ الكنيسة، سلبت الأيقونات من على جدران الكنائس ورميت في مخازن خاصة بالكنيسة إلى أن استعيدت وزينت من جديد واجهات الكنائس الشرقية بخاصة منها المصرية.

كثيرا ما تأخذ الرموز والأشكال معاني فلسفية تقرأ بحسب ورودها في الكتب المقدسة المسيحية، كالحمل والحمام والطاووس، فمثلا يرمز الحمل إلى المسيح لذا يرسم بهيئة توحي بالرقة والجمال والرشاقة.

قبل المباشرة برسم الإيقونة يجب تهيئة المساحة التي سترسم عليها بدقة. يستخدم الرسام خشب السرو والسنديان والزان والكستناء أو الأكاسيا، شرط أن يكون خاليا من العقد، ثم يهيئ صفحته بمحلول الصمغ ويلصق على هذا المحلول نسيجاً رقيقاً يتحد بالخشب اتحاداً وثيقاً. بعد ذلك يطلي هذه الصفحة بالطبشور يتحد بالخشب اتحادا وثيقاً. بعد ذلك يطلي هذه الصحة بالطبشور أو بمسحوق المرمر الأبيض الممزوج بالصمغ الحيواني مرات عدة، ويجففها بورق الزجاج أو بخرقة ناعمة، ثم ينقش خطوط الرسوم خفيفاً، ويلصق حولها أوراق الذهب.

بعد هذه المرحلة يبدأ الفنان الرسم مستعيناً بألوان صادرة قدر الإمكان من رغوة مسحوق طبيعي ممزوج بصفار البيض ويسمى "التنبير"، بعد الانتهاء من الرسم يبسط الفنان فوقه طبقة من افخر زيوت الكتان ويضيف إليه أصنافا من راتنج الأشجار، أي من صمغها المستحلب كالعنبر الأصفر، فيشرب هذا الطلاء الألوان ويجعل منها مجموعة متجانسة قاسية ثابتة. مع الأيام، تكسب أكسدة الألوان لوناً معتماً.

للنور شأن كبير من الإيقونة، يركزه الفنان في المساحات العليا، باعتبار انه نور سماوي ويشكل، وفي الوقت نفسه، خلفية الإيقونة. عندما يرسم فنان الوجه يغطيه أولا بلون قاتم، ثم يضع فوقه صبغة أكثر وضوحا، يحصل عليها بإضافته، إلى المزيج السابق، كمية من مسحوق اصفر، أي من نور، هكذا يبدو الوجه صورة لنمو الضوء في الإنسان.

لم يهتم الرسامون القدماء بالتفاصيل المشهدية حول شخص القديس، لرغبتهم في نقل المشاهد من حيز المكان والزمان، المهم في الإيقونة هو الشخص أو الحادثة، أي المعنى الروحي للحادثة التاريخية، وبتحرير الحادثة من المكان والزمان، تكتسب مدى لا نهاية له، وتمتد من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر، فهي ليست مجرد ذكرى لأشخاص أو لإحداث، بل تؤكد وجودهم الفعال، باعتبار أن الإيقونة ترفع الأشخاص إلى حاضر دائم.

يستمد الرسام من الشكل الفيزيولوجي أساس الرسم، لكنه يضفي عليه مسحة روحية ويظهره ليس كما كان في شكله على الأرض، بل كإنسان متأله تتغير وصورته كما غير الرب صورة وجهه في ظهوره للتلاميذ بعد القيامة، وفي حادثة التجلي.

شكل (٥)

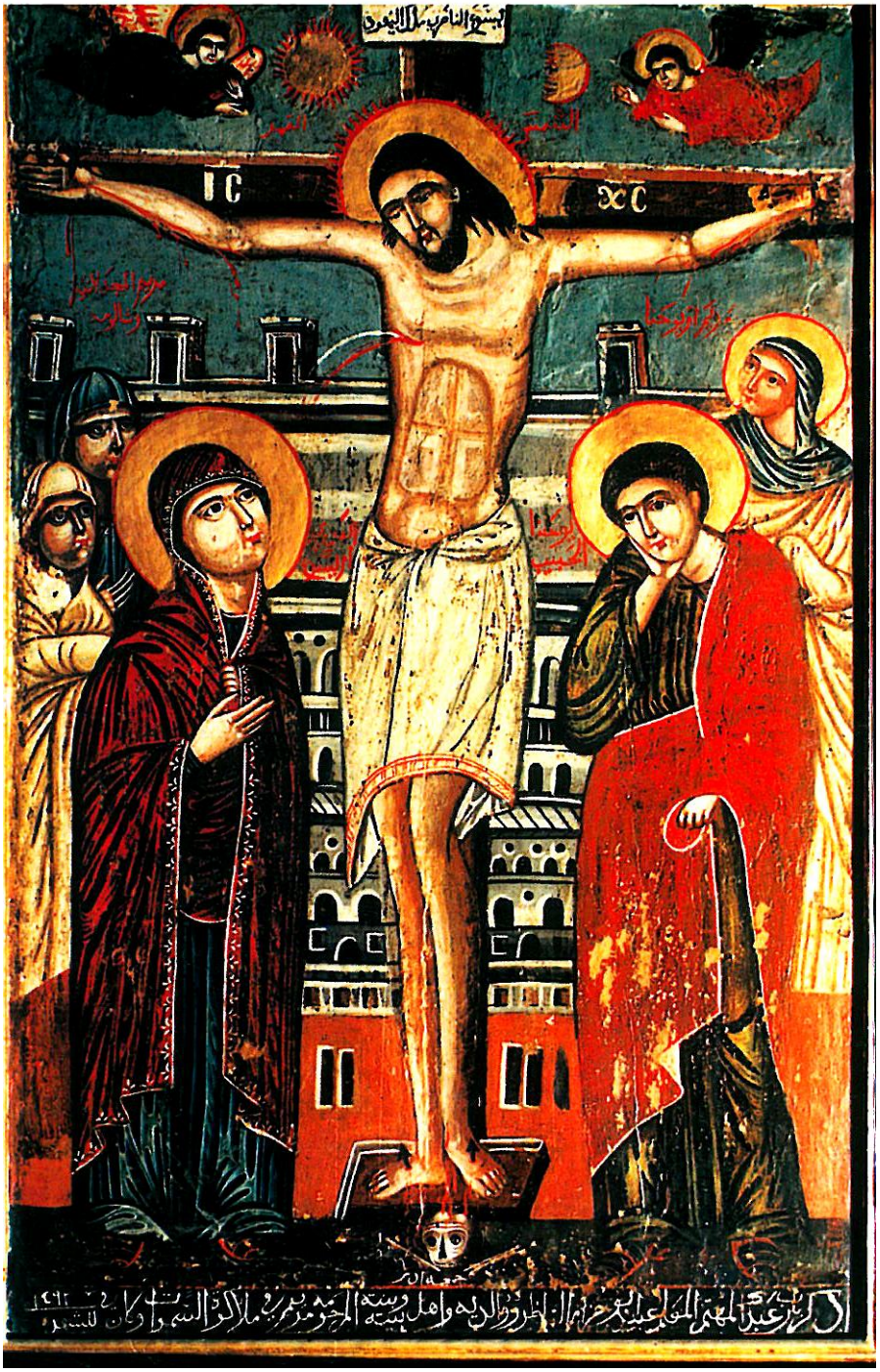

شكل (٦)

شكل (٧)

شكل (٨)

فن تصوير المنمنمات

- يمثل فن تصوير المنمنمات Miniture احد القوالب التشكيلية الهامة في الفن الإسلامي والتي تميزها سمات خاصة في الصياغة تختلف عن فن المخطوطات وقد أدى انتشار الإسلام شرقاً وغرباً إلى اختلافات المعالجة الفنية لهذا الضرب من الفنون الصغيرة الأمكنة فتأثرت كل إشكالها بمدارس إيرانية وهندية وتركية ومغولية وغيرها.
- وفي ظل المقومات العامة للفن الإسلامي تأثرت تلك الفنون المصغرة بالمضمون الروحي الذي يتخطى الواقع المادي للأشياء إلى حالة جديدة من التصور اعتمدت على التبسيط والتسطيح والاختزال للتفاصيل مما أكد بعداً تعبيرياً قائماً على التحوير وآخر يعتمد على التجريد وكانت الرؤية الهندسية في كلتا الحالتين هي الدعامة الأساسية في الزخرفة وتأكيد القوة التزينية للعمل الفني وأصبحت بالتالي إشكالية حلول الفراغ والكتلة والمساحة هي معضلة التشكيل للفنان المسلم وفي ظل هذه الرؤية أصبح من الصعب وضع تلك القياسات التشكيلية في فن دقيق مصغر كالمنمنمات والتي اعتمدت على مهارة عالية لتحقيق ذلك.
- وتظل الدقة وتصغير الأشياء في فن المنمنمات مرتبطة بتحقيق عنصر الديناميكية في الكون وتلك الحركة المطلقة الدائمة في المعادل الهندسي للأشياء وهنا أصبح قانون التشكيل تحكمه ثلاث ركائز هامة عالجت من خلالها علاقة الشكل بالفراغ وفي نفس الوقت فتحت مجال صياغة جديدة عند مصوري الحداثة تجاه هذه المسالة فنلاحظ أولا فكرة "المنظور الكوني" أو الشمسي "أو بالمعنى النقدي "المنظور المطلق" الذي يغفل تجسيم الأشكال في المنظور الخطي "لأن الرؤية المطلقة تخترق بالضرورة الأشياء من خلال أشعة متوازية، وليس من خلال أشعة ما متلاقية تتصاغر معها الأشياء حسب بعدها عن المصدر وبهذا فإن جميع الأشياء الخارجة عن الحزمة المتلاقية لا ترى في الصورة"[1] وهذا المفهوم استلزم في الصياغة فكرة "إملاء الفراغ" Ramshaw وهذا يعيد للأذهان ما تمليه صياغة الحداثة للمساحة من الأسلوب النظامي في الوحدات المستقلة وحسابات الخطوط الراسية والأفقية التي تحقق النسبة والتناسب في الشكل كما أنها تحقق "إغلاق الفراغ" العام Space Closur يضاف إلى ذلك تنبه الفن الإسلامي لرؤية المنظور في الطبيعة "بعين الطائر" الذي يقود الأرضية بصرياً في وضع قائم راسيا.

ثانياً: القيمة الزخرفية لعناصر التشكيل الخطية واللونية كان لها أثراً بالغاً في شغل مساحات الفراغ أو السيطرة على بعدي الشكل في الطول والعرض فقدمت خطوط "الأطباق النجمية" تمهيداً للمناظير المحورية في الفن التجريدي البصري والحركي "وشبكية الفضاء" في التكعيبية كما ساقت دقائق التصوير المصغرة في فن المنمنمات Miniaturiste والمقامات الإسلامية إلى ذلك النهج الزخرفي عند "ماتيس" فأعاد صياغتها وفق هندسة تنظيم المساحة.

ثالثاً: المضمون اللوني المتحرر من وظيفته لهيئة الأشكال المرئية وتحوله إلى أبعاد نقية رمزية حيث مكن ذلك من احتواءه للفراغات والمساحات كما مهد لظهور نزعات فراغية لونية Purism في مدارس الحداثة.

ولذلك فإن فن المنمنمات احتفظ بهذه المضامين الرؤية في التحول من الزخرفة الرياضية المجردة إلى الأشكال الطبيعية التي حدث بمقتضاها تفاعل الزخارف مع الأشكال الطبيعية فأصبح توحد المضمون غالباً على اعتبار أن تجريدها هو الوصول إلى معنى تشكيلي تعتمد صياغته على توزيع الأشكال بين إشكالية الشكل والفراغ والتسطيع الذي يحقق الامتلاء اللوني القوي التي يحتفظ بالكيان التشكيلي مهما صغره أشكاله أو اختزلت مساحته وهذه عبقرية الجمال في فن المنمنمات الإسلامية، وفي النهاية فهو يحقق الكيان المطلق لمسألة الزمان والمكان في العمل الفني.

والجمال المثير في تصوير المنمنمات هو مهارة الأداء وتقنية الوسيط المنفذ به العمل الفني حيث أن صياغة العمل الفني في تصوير المنمنمات تتطلب الحذر والالتزام بقواعد تشكيل المنمنمات من يحث القدرة في توزيع الألوان ومهارة الأداء الخطي بمعنى الاحتفاظ بالكيان الجمالي لمفردات التشكيل رغم تداخلها وتراكبها وحالات التماس والتقاطع وهذا يتطلب وقتاً وجهداً كاف لإتمامها من حيث مراحل البناء في العمل الفني وشمولية التعبير عن الموضوع.

والملاحظ أيضاً في صياغة التشكيل تأثرت وفق شخصية المكان والزمان محيط التجربة التشكيلية ففي الشرق الأدنى وآسيا مثلت العناصر الصينية والإيرانية تواجدا بيئياً يتضح في شكل الأزياء والزخارف والتي نبأت مبكراً بالعناصر التشكيلية المغلقة على ذاتها والمنفصلة عن بعضها في توزيع جديد يخدم العمل الفني من حيث الكتلة والفراغ.

([1]) عفيفي البهنسي: النقد الفني وقراءة الصورة، دار الكتاب العربي، دمشق، طبعة أولى، ١٩٩٧، ص٥٨.

ويطالعنا العصر الذهبي للتصوير الإيراني في عهد خلفاء (تيمور)، ابن (شاه رخ) بتلك النماذج الرائعة لتصوير المنمنمات التي تنتمي لمجموعة المتحف البريطاني حيث تعكس الصياغة تسجيل العمق مع الاعتناء برسم التفاصيل الدقيقة وتلك المقدرة على حسن توزيع الأشخاص في المساحة، وتميزهم استطالة الأجسام والرؤوس ذات اللحى المدببة.

ومع دقة الخطوط وتصغير الأشكال يحتفظ اللون بامتلائه وقدرته على التألق البصري – حيث يغلب في تصوير المناظر استخدام الأزرق الباهت والرمادي والوردي. وكان الدافع وراء جودة هذه الرسوم الدقيقة هو تطور وتنافس فن الكتاب التي تميزت به تلك الآونة[1] والتي فرضت حجم العمل الفني ودقة المعالجة وبراعة التلوين لهذه العناصر التي باتت صغيرة ودقيقة في كامل مساحة العمل الفني والذي اعتمد في النهاية على الأسلوب النظامي في التصميم.

شكل (٩)

فن المنمنمات

(١) نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط والعصور الإسلامية – دار المعارف، ١٩٩٢، طبعة ٥، ص٢٤٠-٢٤١.

شكل (١٠)

فن تصوير المنمنمات

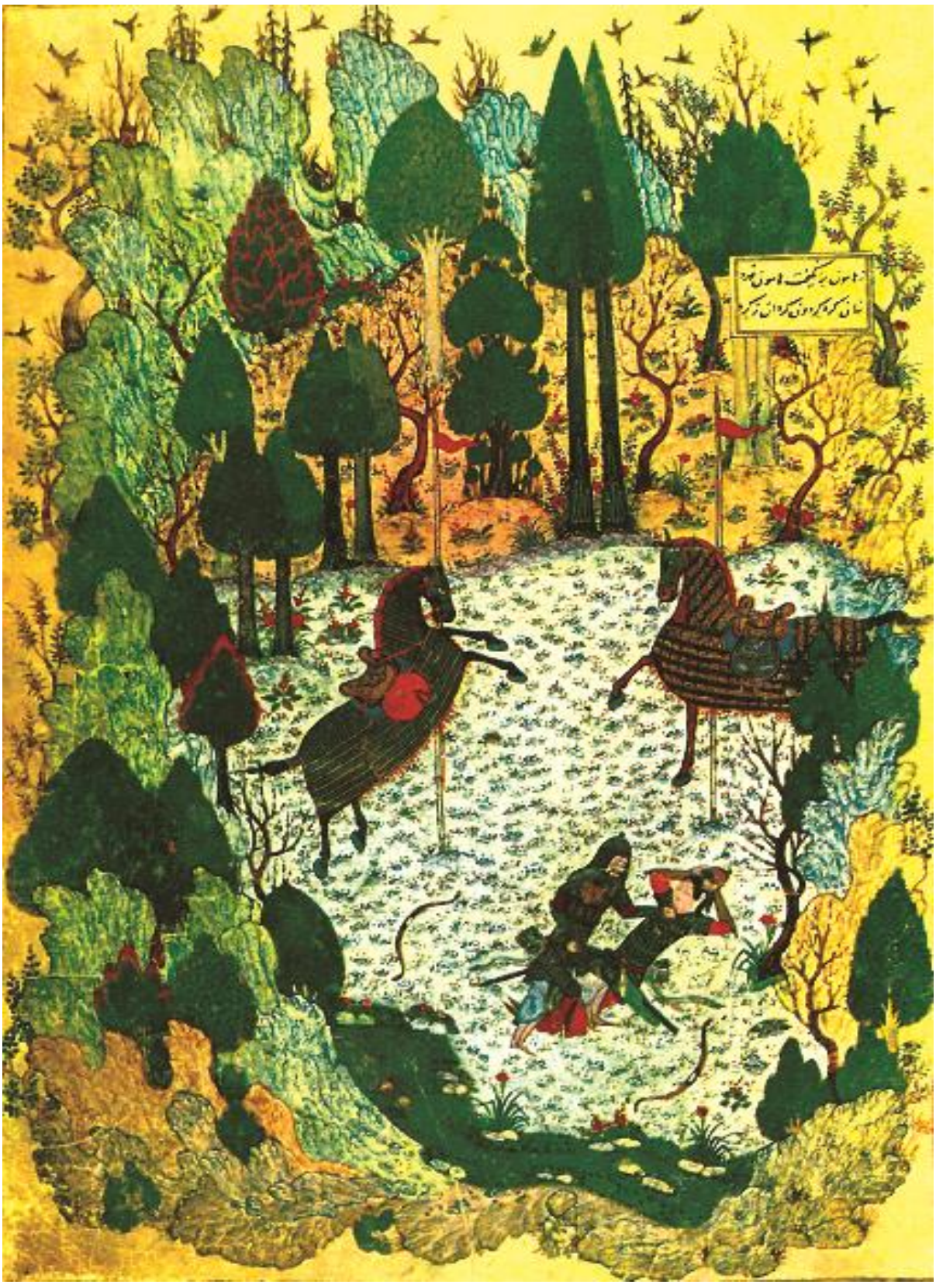

شکل (۱۱)

وكاد يزعزع الجمال الشمر وانشد
ما الحج سيرك تاويا وادلاجا ولا اعتسافا مكلا جمالا واجدا
الحج ان تقصد البيت الحرام على تحريد كل الحج لا تبغي به جاجا
وتبطي كامل الانصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

شكل (١٢)

ثالثا: صياغة التصوير والرسم في التصميم المصغر

من خلال استعراض صور التصميم المصغر والمرتبط بفنون مستقلة بخصوصيتها الإبداعية، نجد أن اثر جماليات التصوير والرسم شكلت بشيء من الدقة والمهارة إبداعاً تشكيلياً له دلالة بصرية وأثرا في عملية الإدراك الذهني والنفسي أيضا أو منها الأمثلة الآتية:

١- **تصميم اللوجو "Logo":** أو تركيب الشعارات والعلامات المتعارف عليها تجارياً أو تلك الرموز ذات الدلالة الاجتماعية أو العلمية أو التاريخية ولعل القيمة الفنية ذات المهارات القوية تكمن في اختزال مفردات التشكيل من الخط واللون والمساحة إلى تصغير شديد يظل محتفظاً بقيمته الفنية فنجد انحسار تلك القيم في مساحة ١سم مربع حينما نصمم الشعار فهو بجانب تقديمه للقيم التشكيلية فإنه وسيلة اتصال ورسالة موجهة للمتلقي حاملة مضمون فكري عن موضوع التعبير لذا يعد تصميم اللوجو من الفنون المصغرة ذات الدقة المتناهية التي تعتمد على الأسلوب الهندسي في توزيع العناصر وتوافقها التشكيلي، شكل (١٣).

٢- **تصميم طابع البريد**: وهذا التميز الدقيق في تصميم طابع بريد بمقاس (٢سم مربع) يضع تسجيل الأحداث والشخوص وملامح البيئة في اختزال وتبسيط شديد كما انه وسيلة تحمل رسالة بأبعادها العلمية والعقائدية والاجتماعية وتشكل في مضمونها أيضاً على إعلاء القيمة الرمزية أحياناً كوسيلة للتخاطب وانعكاس لصدى المعيشة والخدمات الاجتماعية. وهذه الصياغة تتطلب وحدات منفصلة ومنغلقة في اللون والخط وأحداث التضاد الذي يزيد من قوة إدراكها البعدي لدقتها شكل (١٤أ).

٣- **تصميم العملات الورقية:** وهي من أهم التصميمات المرتبطة بالصناعات الورقية الصغيرة وتبدو أهميتها أنها تعكس الرموز والتسجيل الواقعي للأحداث والرسالة التاريخية بما لها من بعد قومي في تداولها اليومي وتتميز هذه التصاميم بدقة جرافيكية عالية القيمة والأداء التكنولوجي للحفاظ على المال العام بصورة صناعية والتزام امني في تصويرها وطبعها.

وهذا الضرب من التصاميم الدقيقة يعتمد على مهارة فائقة من المزج بين فنون الرسم والتصوير والتصميم في أن واحد ويلعب اللون والخط أساسا تشكيليا في الارتقاء بالعملات الورقية بما يتناسب مع الذوق الاجتماعي العام والرسالة القومية في انتقاء رموزها الخاصة شكل (١٤ب).

والقيمة الفنية في هذا الفن المصغر تعتمد على الأرقام والحروف والرموز الدقيقة أو الوحدات الزخرفية المميزة للتراث والحضارات المتعاقبة.

كما أن هناك صوراً عديدة لهذه التصميمات المصغرة تشكل قوالب أخرى كالوشم والأحجبة كما تتدخل في تصميم فنون الصناعات الصغيرة على النحو الذي يرد في سياق البحث وتتدخل في تصميم فنون الصناعات الصغيرة البحث وتتدخل في تصنيعها تكنولوجيا وأدوات ووسائل مجهرية يقاس على أساسها جودة العلم الفن.

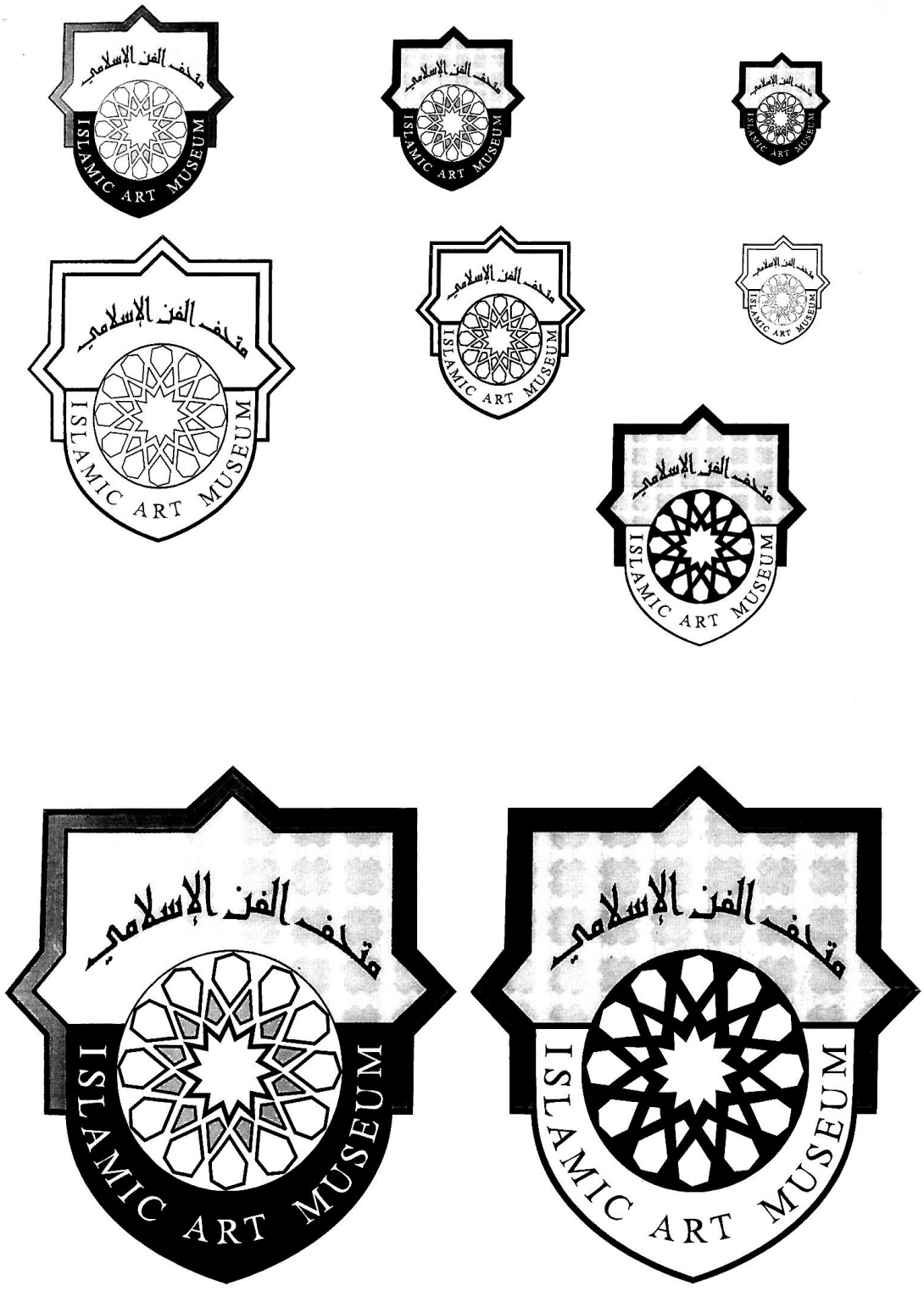

من أعمال الباحث تحليل جمالي للرسم في
صياغة تصميم اللوجو شكل (١٣)

شكل (١٤ أ)

تصميم طوابع البريد

شكل (١٤ ب)

تصميم عملات وراقية

الفصل الثالث

الفن المصغر في ضوء الحداثة والمعاصرة

١- جماليات تكنولوجيا "النانو" "والميديا":

إذا كان القرن التاسع عشر هو نقطة التلاقي بين الفن والعلم وشكل ذلك أهم سمات الحداثة: فإن ما شهده القرن العشرين والمعاصر من انفتاح علمي بلغ مداه الآفاق فإن الفكر التشكيلي حيال ذلك قد فتح آفاق الإبداع لتناول هذه القيمة العلمية كمضامين هامة استلهم خلالها الفنان بعدا جديدا لأسلوب التعبير والمعالجة حيث اتسع الخيال العلمي والفني سوياً في كافة مجالات الفنون.

ولكن أهم ما شهدته تلك التجربة الفنية هي ثورة تكنولوجيا التطبيق وميديا المعلومات التي كشفت غطاء العالم المرئي لذلك وضع في اعتبار هذه المصادر عاملين هامين هما:

الأول: هو النظرية العلمية والتي تمثلت في اختزال الحركة الكونية في معنى "النانو"(*) الذي يمثل اصغر وأدق الحالات التكوينية سواءً في الزمان أو المكان بماديته بالمعنى المعادل للتصغير الدقيق في العمل الفني وإذا كان ذلك لاكتشاف ديناميكية العمل الفني في تكوينه وملمسة وذرات ألوانه فبدأ العمل الفني باعثاً للطاقة المتجددة التي تحمل ادامة الإحساس الوجداني والبعدي وبالنظرة الفاحصة لمعنى "نانو NANO" فهي تعني في لغة الأرقام والحساب ما يعادل (١٠-٩) أي جزء من مليار جزء من حجم أي مادة وبذلك فإن وحدات "النانو" تستخدم في علوم الكيمياء الحيوية كمقياس للمسافة بين الذرات والجزئيات وأطوال السلاسل الجزئية الممكنة للبوليمرات وبذلك تعتبر مقياساً أساسياً للمكونات والتركيبات الميكرونية.

ومما لا شك فيه أن تطور الفنون في وجهتها التطبيقية استدعى التعامل مع الظواهر المحيطة بالكون وبشكل يستدعى الدقة والتفسير الدقيق في معادل تشكيلي يوازي التركيب الدقيق للمادة. كما أن عنصر تكنولوجيا ميكنة التطبيق الفني وأدواته ساعدت الفنان المبدع والناقد على تكشف جديد في استخدام الوسيط وأسلوب الصياغة فهذه الرؤية العلمية وجهت الفكر التشكيلي لإبصار جديد وإدراك ذهني متسع التقييم لمضمون العمل الفني فمثل اختراع "المجهر الالكتروني الماسح" " Electron Scanning, Microscope (SEM)" مسببة للكشف عن العالم الميكروني أما العالم النانوي (عالم النانو) فلم يعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن مبادرته لإنشاء أول وحدة للنانو في بدايات القرن الواحد والعشرين إلا بعد اكتشاف أو اختراع كل من المجهر الذري الفعال "AFM" Atomic Force Microscope والمجهر النفي "TM" Tunnel Microscope اللذان يتم من خلالهما الوصول إلى حلم البشرية وهو التحكم المباشر في سير أغوار العوالم المتناهية الصغر والوصول إلى الجزئيات والذرات المكونة للمادة والتحكم فيها الجزئ بجانب الجزئ والذرة بجانب الذرة مما لا شك فيه انه بهذه القدرة على التحكم في العوامل المتناهية الصغر في الحجم (عوالم النانو) يمكن تصنيع مواد جديدة شديدة الفعالية من المواد والعناصر المعروفة تختلف عنها في خواصها وقدراتها بل وتفوقها بشكل لا يصدق ومن الجدير بالذكر عند الحديث عن العوامل المتناهية الصغر ذكر العالم الكبير الدكتور احمد زويل الذي استطاع أن يسبر بشدة أغوار الزمن فوصل إلى آخر أعماقه التي توصل إليها بشر حتى الآن وهي (١٠-١٥) من الثانية أو ما يسمى "بالفنتوثانية" أي جزء من (مليون مليار) من الثانية حيث تمكن من تصوير عمليات حيوية تحدث في وحدات من هذا الزمن متناهي الصغر.

ومن المعروف والثابت علميا أن التصغير "Miniturization" في أي شيء يزيد التركيز ويزيد الفعالية بدرجة فائقة.

مما سبق يستخلص الباحث أن هذه المضامين العلمية هي امتداد طبيعي لتأثير النظرية على الفكر التشكيلي وصياغته بنظرية الضوء عند الانطباعيين "والنسبية" في النزعة المستقبلية وكذلك الإدراك الفسيولوجي في فن الخداع البصري Op art.

الميديا:

يضاف إلى ذلك التغير في اتجاه الفن للتصغير والتحليل ذلك الدور العظيم الذي خلفته عوالم (الميديا) التي فتحت آفات الخيال الإبداعي وكشفت تحليلات لمفردات التشكيل جديدة فنرى التراكمات الرقمية التي يقدمها الكمبيوتر في عنصر اللون والخط وأمدت الإبداع التشكيلي بتساؤلات عديدة في أوضاع الصياغة التشكيلية من خلط الألوان والفروق الدقيقة في تفاعلاتها وهذا ساهم بكثير

(*) تعني القزم: فلقد ثبت من خلال محاضرة للعالم المصري د/ علي احمد الأشوط أنها كلمة فرعونية باللغة الهيروغليفية تعني الطفل الرضيع ومنها تطورت في اللغة المصرية الدارجة الحالية "نانوس".

(**) د/ علي احمد الأشوط هو من كبار علماء القطن في مصر وشغل منصب وكيل مركز البحوث الزراعية سابقاً.

في نمو الإدراك البصري وأصبحت اللوحة نسيج بنائي يتدخل الفن المصغر ودراسته في عمليات ترميمها اللوحات والاستعانة بالمقومات التكنولوجيا في ذلك.

ثانياً: خصوصية الأعمال الفنية الصغيرة

حينما تنظر إلى تجربة الحداثة ومسارها إلى المعاصرة نجد أن متغيرات التجربة الفنية تحولت من كلاسيكية لمحاكاة الواقع بأساليب ما بعد عصر النهضة إلى المفهوم الرومانسي والواقعي. نجد أن مرحلة انفتاح الرؤية نحو التجريب قدم إدراكا جديدة لهيئة العمل الفني في التصوير فاتجه نحو اللوحة المستقلة عن الجدار ثم إلى خصوصية جديدة تساير حرية الحركة والاكتشاف والتجريب بل وسرعة الانجاز الإبداعي وليد اللحظة. كل هذه المتغيرات تولد منها وظيفة جديدة للعمل الفني نحو تحقيق هدف جمالي يسمو عن الهدف التقليدي المرتبط بالتشخيص وشكلت تجارب الانطباعية في بدايتها التجريبية مفهوماً جديداً يقوم على دعامتين.

١) اكتشاف تحليل مصغر لمسالة التقنية ذلك الذي قسم اللمسة إلى نقاط صغيرة متجاورة تصل إلى الملايين من النقاط ذات الألوان المتكاملة كما نجد عند (جورج سورا G.Seurat) فشكل ذلك مؤشرا لاعتبارية التفتيت والتجزيئية مما فرض هذا الجهد أن يكون العمل صغيراً في هيئته شكل (١٧).

٢) قدمت تجارب الحداثة أعمالاً رائعة لا تتعدى مساحتها ما بين (١٠سم: ٢٠سم) واعتبرت قيمتها تعادل لوحة جدارية بقياسات الجماليات الأدائية والتقنية الجديدة.

وتناول معظم فناني الحداثة العمل في فن التصوير بهذه المفاهيم التشكيلية المصغرة سواءً في التقنية التي تعادل المنمنمات الدقيقة أو تلك الأحجام ذات المساحات الصغيرة وأصبحت الرؤية النقدية لها أبعادا جديدة لاعتبارية الأعمال الفنية الصغيرة التي أفردت المعارض الخاصة والمسابقات والتوظيف النفعي لهذه الأعمال على النحو الذي نراه الآن في الحركة التشكيلية المعاصرة تحت مسمى "صالون الأعمال الفنية الصغيرة" شكل (١٨) وهذا فتح الآفاق لتخصص مصورين ورسامين لإجادة المعالجة المصغرة في أساليبهم الفنية.

ويوجد هذا الارتباط جلياً بين الفنون المصغرة والحداثة فنلاحظ أن الروح الإسلامية في الفنون التشكيلية شكلت مصدراً هاماً لتجربة فنون الحداثة حيث شكل تصوير المنمنمات Miniature من حيث إخضاع الشكل لدقائق التشكيل المصغر حيث يشير "جوهان ريولد J. Rewald في مؤلفة عن (سواره) (انه كان يملك نسخة من مخطوط كتبة جوحان Gouguin وهو مقتبس من نص شرقي عن ألوان السجاجيد والمفروشات ومن الملاحظات الذكية عن تدرج الألوان) [(*)].

(*) احمد إبراهيم احمد: رسالة دكتوراه بعنوان **اثر التنقيطية على تطور المعالجات التشكيلية عند مونار وسيفريني وفازارللي**، جامعة حلوان، ٢٠٠١.

شكل (١٥) منظر خلوي

أعمال الباحث زيتية مقاس ٢٠×٢٠سم

شكل (١٦)

أعمال الباحث زيتية مقاس ٢٠×٢٠سم

شكل (١٧) لوحة زيتية أعمال صغيرة ١٦×٢٥سم من جورج سوراه

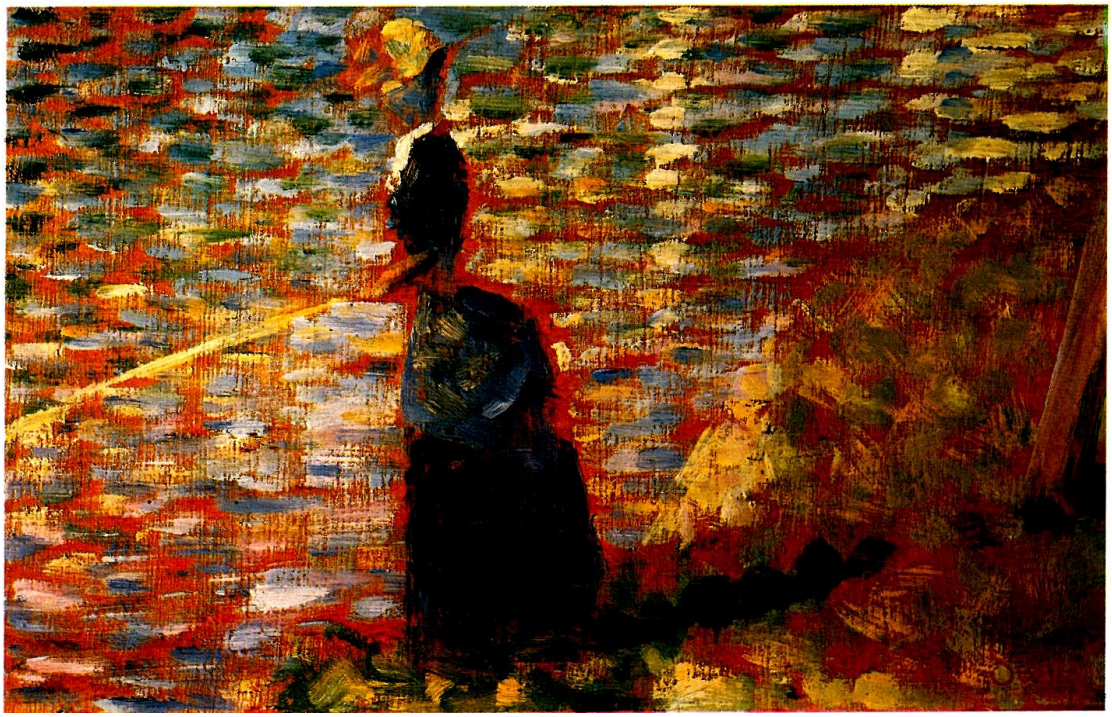

شكل (١٨)

أعمال المصور جورج سورا مقاس ١٥×٢٥سم

توضح دقائق التقنية

العلاقة بين الفنون الصغيرة والفن المصغر:

- التفاعل بين التشكيل المصغر والحرف الصغيرة بدا واضحاً منذ جهد الإنسان البدائي نحو تلبية احتياجاته المعيشية وإذا كانت الفطرة في التشكيل هي المعادل الإبداعي نحو ذلك، فإن التخطيط لهذا المضمون ارتبط على المدى بفكرة صناعته لأدواته اليومية بشكل حضاري فيما بعد.
- وتلاحظ أن بداية صناعة الورق والنسيج ومستلزماته من أدواته الحجرية والتزيينية كانت حافزا للتشكيل الإبداعي بنمو التشكيل المصغر فوق أسطح هذه الخامات ليكسوها الخط واللون سواءً بالتعبير عن لغته التخاطبية أو أشكال بيئته التي يعيش ويتفاعل معها.
- ومع هذا التطور الهائل لهذه العلاقة عبر الحضارات القديمة والحديثة أصبحت العلاقة بين التشكيل المصغر والصناعات الصغيرة ذات طبيعة إبداعية خاصة ومع إلقاء الضوء على ما يميز هذا الإبداع نراه في تصميم صناعة المعادن من الحلي والميداليات والأختام والعملات المعدنية التي أفرغت الدراسة الأكاديمية حالياً في الفنون التطبيقية أقساماً خاصة بدراستها في طبيعة التصميم المصغر والدقيق بل وفي أشكال عددية للدعاية والإعلان عنها بإبداع مصغر في الحجم وطريقة المعالجة.

مثالاً لذلك يطالعنا ذلك التشابه الشديد بين سطح اللوحة الفنية في الرسم والتصوير وسطح العمل النسجي الذي يحول الإبداع التشكيلي من حالته اليدوية إلى آلية ميكنة التطبيق.

فكلا السطحين في قماش التصوير وقماش النسيج يعتمد على تغذية مساحاته باللون كوسيط أساسي.

وبتحليلنا لبعض هذه الأعمال النسجية المعاصرة نجد في أعمال الفنان عبدالله الجمل(*) كيف تفاعل لتأكيد هذا الإبداع المصغر في أعماله النموذجية في التصميم قبل إنتاجها التطبيقي على نحو ما يصل فيه العمل الفني ما بين (١٥ : ٢٠سم) في مساحته.

فهو يقدم حلولاً في عملياته الإبداعية تجمع بين معضلة التشكيل وآلية التطبيق الإنتاجي بمعنى انه يقدم تشكيلاته الإبداعية في جماليات مفردات التصوير من الخط واللون والضوء وفي نفس الوقت يقدم بدراسته للمضامين العملية حلولاً ذكيه في إنتاج النسيج بل مكنته جزئه من تحقيق قيم فن التصوير من الحركة والموسيقى والفن البصري في ذلك الإبداع وبالنظرة الدقيقة لأسلوب التقييم المصغر في أعماله نجد تلك (الطريقة البنائية) المتميزة من خلال تجاربه في صياغة الميديا لأعماله حيث ينمو سطح العمل بتراكبات خطية ولونية يكسوها مستويات متعددة الإضاءة تزيد من شفافية تلك الطبقات البنائية في توافق وتآلف موسيقي فريد ومع خبرة الوسائط المنفذة بصبغات النسيج وآلية تنفيذها الميكني يقدم لنا أسطح زكية الملمس وتتناسب من وظيفته المعيشية شكل (١٩أ/ب).

(*) استاذو عالم هندسة النسيج بالفنون التطبيقية جامعة حلوان.

شكل (١٩أ) عمل نسجي مقاس د/ عبدالله الجمل

أستاذ الفنون التطبيقية جامعة حلوان مقاس ٢٠×٢٥سم

شكل (١٩ب) عمل نسجي مقاس د/ عبدالله الجمل

أستاذ الفنون التطبيقية جامعة حلوان مقاس ٢٠×٢٥سم

❖

شكل (٢٠) (أ، ب، ج)

تصميمات نسجية صغيرة مقاسات تتراوح ما بين ٣×٨سم

المصادر العلمية

أولا: المراجع العربية:

(١) ثروت عكاشة١٩٩٥: **التصوير الإسلامى المغولى فى الهند** – سلسلة العين تسمع والأذن ترى – الجزء الثالث عشر – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.

(٢) سعاد ماهر ط١٩٧٧: **الفن القبطي**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) عفيف البهنس١٩٩٧: **النقد الفني وقراءة الصورة**، دار الكتاب العربي، القاهرة، طبعة أولى.

(٤) محمد غنيم مع آخرين ط٢٠٠٨: **الفن القبطي في مصر** (٢٠٠٠ عام من المسيحية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، شركة اوراسكوم للاتصالات.

(٥) نعمت إسماعيل١٩٩٢: **فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية**، دار المعارف بالقاهرة، ط٥، ص٢٤٠، ٢٤١.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1- Edouard lambelet: Antoine Khater: Coptic icons part II publisher, Lehnert & Londsock, Cairo Egypt.

2- John Rewald: Seurat, published by Hanry N. Abrams Incorporated, New, York, 1981.

ثالثاً: الدراسات المرتبطة:

أحمد إبراهيم أحمد٢٠٠١: رسالة دكتوراه بعنوان: **اثر التنقيطية على تطور المعالجات التشكيلية عند بونار وسيفيريني وفازاريللي** – جامعة حلوان.